تناولت هذه المحاضرة **أدوات الكتابة وتطورها منذ العصر الجاهلي**، وقوفًا بشيء من التركيز على **أدواتها في الحضارة الإسلامية.**

كان من الطبيعي أن يرافق الكتاب في رحلته نحو أيدي العلماء وطلاب المعرفة كثير من العمليات الفنية سواءٌ في خطه أو نسخه أو تجليده وزخرفته، بل وفي تجارته أيضًا، وكان القائمون على الاهتمام بهذه الشؤون الفنية للكتاب يطلق عليهم الوراقون (جمع ورّاق)، هذا فضلاً عن بيع الورق وسائر أدوات الكتابة كالأقلام والحبر وما إلى ذلك[1].

والحديث عن الوراقة والوراقين ببلاد المغرب يحتاج إلى التمهيد بالحديث عن مواد الكتابة عند العرب في العصور التي سبقت الإسلام، وإذا كان لا بد من هذا التمهيد فالأولى أن يكون مختصرًا.

أولاً: أدوات الكتابة في العصر الجاهلي

كانت المواد التي يكتب عليها العرب في العصر الجاهلي مشتقة من صميم البيئة الصحراوية التي يعيش فيه العرب، ولذلك كانوا يكتبون على:

1 ــ العُسُب والكرانيف:

العسب جمع عسيب، وهي السعفة أو جريدة النخل إذا يبست ونزع خوصها[2]، أما الكرانيف فجمع كرنافة[3]، وهي على حد قول ابن سيده: « أصل السعفة الغليظ الملتزق بجذع النخلة »[4]، وكانت أكثر المواد شيوعًا واستعمالاً في الكتابة نظرًا لتوافرها وسهولة الحصول عليها في مثل تلك البيئة الصحراوية[5].

---

[1] سعد بن عبد الله البشري، **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (466 ــ 488هـ / 1030 ــ 1095م)**، ط1، د.م، 1993، ص199.

[2] ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص197.

[3] المصدر نفسه، ج12، ص79.

[4] ابن سيده علي بن إسماعيل (ت 458هـ / 1065م)، **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج1، ط1، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، 1958، ص310.

[5] عبد الستار الحلوجي، **المخطوط العربي**، ص21.

2 ــ الأكتاف والأضلاع:

ونعني بها عظام أكتاف الإبل والغنم وأضلاعها[1].

3 ــ اللخاف:

وهي الحجارة البيض الرقاق[2].

4 ــ الأديم والقضيم:

وهما نوعان من الجلد، فالأديم هو الجلد الأحمر أو المدبوغ، أما القضيم فهو الجلد الأبيض الذي يكتب فيه[3].

تلك هي المواد التي كان العرب يتخذونها للكتابة في الجاهلية، وقد أشار شعراء ذلك العصر إلى كثير منها في أشعارهم، فأمرئ القيس يقول في ديوانه[4]: [الطويل]

لمن طللٌ أبصرتُه فشجاني كخطِّ زَبورٍ في عَسيبٍ يمانِ

ويقول النابغة الذبياني في ديوانه[5]: [الطويل]

كأنَّ مجرَّ الرّامساتِ ذُيُولها عليه قضيمٌ نمّقتهُ الصّوانعُ

ولبيد يصف كاتبًا فيقول في دويانه[6]: [الخفيف]

متعوِّدٌ لَحِنٌ يُعيدُ بكفِّهِ قَلَمًّا على عُسُبٍ ذَبُلنَ وبـــانِ

ويقول المرقش الأكبر[7]: [السريع]

الدار قَفرٌ والرُّسوم كما رَقَّشَ في ظهر الأديم قَلَم

---

(1) عبد الستار الحلوجي، **المخطوط العربي**، ص21.

(2) المرجع نفسه، ص21.

(3) المرجع نفسه، ص21.

(4) **ديوان امرئ القيس**، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص85.

(5) **ديوان النابغة الذبياني**، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1996، ص53.

(6) **ديوان لبيد بن ربيعة العامري** (**ت 41هـ / 661م**)، دار صادر، بيروت، د.ت، ص206.

(7) المرقش الأكبر عمرو بن سعد (ت 57 ق.هـ)، **ديوان المرقِّشَين**، تحقيق: كارين صادر، ط1، دار صادر، بيروت، 1998، ص67.

ثانيًا: أدوات الكتابة في الحضارة الإسلامية[1]

الأداة	تعريفها
المزبر	القلم أخذًا من قولهم: زبرت الكتابة إذا أتقنت كتابته، ومنه سميت الكتب زبرا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾[2].
المقلمة	الوعاء الذي توضع فيه الأقلام، سواء من نفس الدواة أو منفصلاً عنها، وقد لا تعد من الآلات، وتصنع من الخشب أو القماش، وهي ليست من الأدوات المباشرة للكتابة.
المدية	السكين التي تبرى بها الأقلام، وكانوا ينصحون بعدم استخدامها في غرض آخر سوى البري.
المنفذ	آلة تشبه المخرز تتخذ لحزم الورق وينبغي أن يكون محل الحاجة منها متساويًا في الدقة والغلظ، أعلاه وأسفله سواء لئلا تختلف أثقاب الورق في الضيق والسعة.
الملزمة	آلة تتخذ من النحاس ذات دفتين تلتقيان على رأس الدرج حين الكتابة ليمنع الدرج من الرجوع على الكاتب ويحبس بمحبس على الدفتين.
المفرشة	قطعة من خرق الكتان أو الصوف تفرش تحت الأقلام وتكون في بطن الدواة آنيًا.
المسقاة	آلة لطيفة تتخذ لصب الماء في المحبرة ويوضع عوض الماء ماء الورد لتطيب رائحتها، وتكون هذه الآلة في الغالب من الحلزون الذي يخرج من البحر الملح.

---

[1] ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج2، ص468، 471، 475، 478، 481.

والأصمعي محمد عبد الجواد، **تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام ونوابغ المصورين والرسامين من العرب في العصور الإسلامية**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1998، ص96، 99، 100. حسن قاسم حبش البياتي، **رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد**، ط1، دار القلم، بيروت ــ لبنان، 1993، ص84 ــ 87.

[2] سورة الشعراء: 196.

المسطرة	آلة من خشب مستقيمة الجنبين يسطر عليها ما يحتاج إلى تسطيره من الكتابة ومتعلقاتها.
المصقلة	يصقل بها الذهب بعد الكتابة.
المسن	آلة تتخذ لحد السكاكين.
المهرق	لفظ فارسي معرب، يعني القرطاس أو الكرباس الذي يكتب فيه ويجمع على مهارق، وهو ثوب حرير أبيض يسقي الصمغ ويُصقل ثم يكتب فيه.
المقط	قطعة صلبة من الحجارة أو الرخام يُبرى عليها القلم لاستواء البري.
الممسحة	تسمى الدفتر أيضًا، وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صوف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش، يمسح به القلم عند الفراغ من الكتابة حتى لا يجف عليه الحبر فيفسد.
الدواة (المحبرة)	الآنية التي يجعل فيها الحبر، وهي قوارير من خزف تصنع من الخشب أو الفخار أو المعادن، وأحيانًا من الزجاج.
الجونة	الظرف الذي فيه الليقة والحبر، وينبغي أن تكون مدورة الرأس لتكون أبقى للمداد.
الليقة	تسميها العرب (الكرسف)تسمية لها باسم القطن الذي تتخذ منه في بعض الأحيان.
المداد (الحبر)	سمي بذلك لأنه يمد القلم، أي: يعنيه، ما تمد به الدواة، وقد يسمى حبرًا من الفعل يحبر الشيء يترك عليه أثره.
الملواق	ما تلاق به الدواة، أي: تتحرك به الليقة.
المرملة	إسمها القديم (المتربة)، وتشتمل على الظرف الذي يجعل فيه الرمل ويكون من جنس الدواة وعلى الرمل.
المنشاة	الظرف الذي يشبه المرملة في الهيئة وعلى اللصاق المتخذ من البر والكثيراء، وينبغي أن يستعمل فيه الكافور لتطيب رائحته.